(تأملات في سورة الرحمن)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئاتِ أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلن تجدله ولياً مرشدا وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له خلق فسوى وقدر فهدى وأخرج المرعى فجعله غثاء أحوى وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداًعبده ورسوله بلغ عن الله رسالاته ونصح له في برياته فجزاه الله بأفضل ماجزى به نبياً عن أمته" اللهم صل وسلم وبارك وأنعم عليه وعلى أله وأصحابه وعلى سائر من اقتفى أثره واتبع منهجه بإحسان إلى يوم الدين .

أمابعد.....أيها المؤمنون فإننا نستعين الرب تبارك وتعالى كما استعناه من قبل في تفسير ووقفات مع بعض كلامه جلا وعلا والسورة التي نحن بصدد تفسيرها الليلة هي سورة الرحمن أيها المؤمنون إن المؤمنين يدركون بلا شك أن لهم رب لا رب غيره ولا إله سواه إليه يفزعون في الشدائد وإياه يشكرون في السراء يعبدونه تبارك وتعالى ليلا ونهارا يعبدونه بقلوبهم وجوارحهم ويعلمون أن من أعظم الجور والظلم أن يجعلوا لله تبارك وتعالى ندا ثم إن هؤلاء المؤمنين سلك الله بنا وبكم سبيلهم وجعلنا وإياكم منهم يعملون يقيناً أن لربهم تبارك وتعالى أسماء حسنى وصفات على قال الله جل وعلا (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه) والرب تبارك وتعالى كما أن وجهه أكرم الوجوه فإن أسمائه أعظم الأسماء وأحسنها وأكملها تدل على صفات عظيمة وجليلة لا يلحقها نقص أبدا له تبارك وتعالى ومن أسمائه العلى وأسمائه الحسنى تبارك وتعالى الرحمن ومن صفاته العليا جل وعلا الرحمة وهذه السورة الكريمة التي بين أيديكم صدرها الله جل وعلا بقوله (الرحمن*علم القرءان*خلق الإنسان*علمه البيان*الشمس والقمر بحسبان*والنجم والشجر يسجدان*والسماء رفعها ووضع الميزان*ألاتطغوا في الميزان*وأقيموا الوزن بالقسط ولاتخسروا الميزان) إلى أخر ما ذكر الله من آيات عظيمة تدل على عظيم قدرته وكمال رحمته وجليل فضله تبارك وتعالى و(الرحمن) اسم من أسماء الله الحسنى وبعض أسماء الله الحسنى قد يشترك معه المخلوق في إطلاقها عليه مع الفارق بين إطلاقها على المخلوق وإطلاقها على الخالق يقال: إن الله رحيم ويقال: عن أحد رجال الناس أو أحد رجال الدنيا إنه رحيم كما قال الله جل وعلا في نعت نبينا صلى الله عليه وسلم. (بالمؤمنين رؤوف رحيم) ويقال فلان راحم ويقال إن الرب تبارك وتعالى راحم لخلقه لكن الرحمن اسم مختص بالرب تبارك وتعالى لا يسمى به

ولا يطلق على أحد من خلقه أبدا والرحمن معناه/ كمال اتساع رحمته وجليل فضله وإحسانه تبارك وتعالى على خلقه أوجدهم من العدم ورباهم بالنعم وبين لهم طريق النجدين وأبان الله لهم تبارك وتعالى معالم الحق ومعالم الهدى وأظهر لهم على الوجه الآخر معالم الضلالة ومعالم الزيغ والفساد قال الله جل وعلا (وهديناه النجدين) ولرحمة الله جل وعلا حد لا ينتهي قال الرب تبارك وتعالى (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون) وهذه الرحمة العظيمة بها يعيش الخلائق أجمعون فرحمة الله تبارك وتعالى منها ما هو عامه ومنها ما هو خاص فأما رحمته تبارك وتعالى العامة /فهذه ينالها المؤمن والكافر والبر والفاجر ومن مظاهر هذه الرحمة التي لا تختص بإيمان أو بكفر إنزال الغيث فإن الغيث وإنزاله أعظم مظاهر رحمة الرب تبارك وتعالى ويستفيد منه البر والفاجر والمؤمن والكافر والذكر والأنثى والعربي والعجمي وغير ذلك مما هو معروف قال الله جل وعلا عن الرياح التي تحمله (يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) وقال الله تبارك وتعالى عن النبت الذي ينبت والأرض عندما تخضر بعد نزول رحمته قال (فانظر إلى ءاثار رحمت الله كيف يحي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى) ومن مظاهر رحمته تبارك وتعالى إطعامه للجائع بصرف النظر عن حاله جاء في الحديث القدسي (إني والجن والإنس في نبأ عظيم خيري إليهم نازل وشرهم إلي صاعد أتقرب إليهم بالنعم ويتقربون إلي بالمعاصي أخلق ويعبد غيري أرزق ويشكر غيري) فنسأل الله جل وعلا أن يجعلنا ممن يعبده وحده دون سواه ويشكره تبارك وتعالى ءاناء الليل وأطراف النهار على فضله وإنعامه أما مظاهر رحمته الخاصه جل وعلا فهذه نصيبها المؤمنون المتقون الذين يعرفون ربهم تبارك وتعالى فتأتيهم رحمة الله الخاصه بهم وهذه الرحمه واسعه الأرجاء متعدده المظاهر من مظاهرها ستره تبارك وتعالى على من يعصيه وفي الحديث (إن الله حيي سِتِّير) كما أن من مظاهر رحمته جل وعلا على عباده قبول التوبه وقد جاء في الحديث القدسي (يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم) نستغفر الله العظيم ونتوب إليه كما أن من مظاهر رحمته الخاصه توفيقه تبارك وتعالى لعباده للعمل الصالح والعلم النافع فإن هذا من رحمة الرب بعبده جل وعلا كما أن من رحمته الخاصه ومعيته الخاصه لبعض عباده استجابته لدعائهم وغوثهم عند النوازل وقد ذكر الله جل وعلا جما غفيرا ممن عبدوه ولجؤا إليه واستغاثوا به كيف أعطاهم وأغاثهم وأعانهم وأكرم سؤلهم جل وعلا قال الله

جل وعلا (وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين*فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وءاتينه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين*وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين*وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين*فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين) اختلفت حوائجهم ولم يختلف أنهم لا يسألون إلا الله ثم قال الله جل وعلا (وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين*فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين) وغير ما قصه الله في كتابه فإن الناظر بين البصيرة والإنصاف إلى ما حوله يرى من مظاهر رحمة الله جل وعلا بخلقه ما لا يمكن أن يحصى أو يعد والله جل وعلا أعظم مما تراه بعينك رحمه فإن الله جل وعلا كتب كتابا عنده تحت العرش" أن رحمتي غلبت غضبي". كان رجل من الصالحين يقال له حاتم يسكن في خرسان كلما عزم على الحج خاف على بناته من بعده فقالت له ابنته الكبرى: يا أبنتي إنما الرازق الله فحج فعزم على الحج وترك الصغار في عهدة أختهم الكبرى فرعتهم فلما أمسى الليل إذا هم يتضاغون عند قدميها يسألونها الطعام ولم يكن في البيت شيء فبينما هم على تلك الحال وإذا بأمير يدخل القريه ويسألهم الماء ويطرق الباب ومعه حشمه وخدمه وماله ولكن لاماء معه والماء يوجد في بيوت الأغنياء كما يوجد في بيوت الفقراء فلما سألهم الماء أخرجوا له جرة ماء كانت عندهم فلما شربها جال بطرفه في البيت فعرف رقة حالهم ومسكنتهم وفقرهم فلما هم بالخروج أخرج لهم صرة فيها مئات الدنانير فقالت المرأة العارفة بربها هذا مخلوق نظر إلينا فاستغنينا فكيف بنظر أرحم الراحمين إلينا. نسأل الله أن يكلنا وإياكم إلى رحمته أيها المؤمنون: ومن أعظم رحمة الله الهدايه ولما كانت الهداية لاتتم إلا بالوحي لأنها لابد أن تكون على بينه عن طريق رسول ،والرسول يكون موحى إليه وأعظم الوحي الكتب السماوية وأعظم الكتب السماوية القرآن قال الله بعد أن ذكر اسمه الكريم(الرحمن)ذكر أعظم رحمة أعطاها الله جل وعلا لخلقه قال(الرحمن*علم القرءان) فالقرءان أعظم رحمة موجودة في الأرض لأن من سلك منهج القرآن قاده القرآن برحمة الله إلى جنات النعيم ورضوان رب العالمين جل جلاله. وكان القرشيون يزعمون أن مايقوله النبي صلى الله عليه وسلم

ومايتلوه عليهم إنما هي أمور اكتتبها قال الله حكاية عنهم(وقالوا أساطيرالأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا) فأجابهم الله (قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض)وهذه السورة سورة الرحمن أحد الأجوبه على كفار قريش أن القرآن من عند الله فلذا لك قال الله جل وعلا(الرحمن*علم القرآن)وقد قلنا في درس سابق إن النعم يمكن تقسيم أعلاها إلى قسمين..

القسم الأول:ـ نعمة خلق وإيجاد...

القسم الثاني:ـ ونعمة هداية وإرشاد ونعمة الهداية والإرشاد أعظم من نعمة الخلق والإيجاد لأن نعمة الخلق الإيجاد يشترك فيها بنوا آدم مع البهائم فكلهم مخلوقون موجودون لكن نعمة الهدايه والإرشاد اختص الله بها المؤمنين المتقين الأصفياء الأولياء الصالحين من عباده خص الله جل وعل بهم بعضا من خلقه من بني أدم ولم تؤتى لكل أحد .

نسأل الله أن يثبتنا وإياكم على دينه . لذلك قال الرب جل وعلا (الرحمن * علم القرءآن) و(علم القرءان) اتفق النحاة على أن (علّم) تأخذ مفعولين وقد ذكر الله جل وعلا .أحدهما هنا والصواب أن المفعول المحذوف هو المفعول الأول وأما تقديره فالعلماء اختلفوا فيه .لكن أظهر الأقوال أن يقال "الرحمن*علم نبيه القرءآن"فيكون في هذا المعنى ردٌ على من قال أن محمداً جاء بالقرآن من عنده "الرحمن*علم القرءآن"وقلنا إن في هذا القرءآن الطريق إلى جنة عدن قال عليه الصلاة والسلام :"تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي"وقال كما في صحيح مسلم"تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي"فالمقصود من هذا أن كتاب الله جل وعلا الطريق الوحيد إلى رضوان الله عن طريق كتا به المتضمن الأمر باتباع نبينا صلى الله عليه وسلم"إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشرالمؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا" قال جل وعلا"الرحمن *علم القرءان"وهذه السورة تضمنت مواقف إيمانية عظيمة نبدأ بها على هيئة قضايا ...

القضية الأولى:تكرر في هذه السورة قول الرب جل وعلا :"فبأي آلاء ربكما تكذبان "والمخاطب بهذه الأية الثقلين الجن والأنس وقد وردت هذه الآية مكررة في السورة نفسها إحدى وثلاثين مرة وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم كما روى الترمذي من حديث جابر رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على الصحابة فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى أخرها فلما قضى سكتوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد قرأتها على إخوانكم من الجن فكانوا أحسن مردوداً منكم قالوا:

وما ذاك يا رسول الله.قال:إنني لما قرأتها على الجن كنت كلما تلوت "فبأي آلاء ربكما تكذبان" قال الجن: لا نكذب بأي من نعم ربنا فلربنا الحمد. فهذا الحديث حسنه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع وقلت من قبل رواه الترمذي من حديث جابر والمقصود منه فيه دلائل على أدب الجن مع ربهم تبارك وتعالى ،إذاً من السنة أن الإنسان إذا تليت عليه هذه السورة في غير القرآن أن يقول ولا نكذب بأي من آلاء ربنا ولربنا الحمد،أو يقول ما يقرب من هذه العبارة... وهذه السورة كما قلت تزخر في الكثير من القضايا الإيمانية أولها كما بينا معنى كلمة الرحمن وقلنا إنها مختصة بالرب تبارك وتعالى ولا يصح إطلاقها على كل أحد.

"الرحمن*علم القرآن*خلق الإنسان" فانظر أن الله قدم نعمة الهداية على نعمة الإيجاد ولم يقل"الرحمن*خلق الإنسان*علم القرءآن" لأن نعمة الهداية و الإرشاد كما بينا مرارا أعظم من نعمة الخلق والإيجاد .

"الشمس والقمر بحسبان" هذه الألف والنون:زائدتان والمعنى:بحسابٍ متقنٍ مقنن.وعلى ذلك جريانهما ينظر إليه الناس كيف أنهما يجريان بأمر ربهما قال الله جل وعلا :"لاالشمس ينبغي لها أن تدرك القمر والليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون" وفي ذلك من المصالح الدنيوية والدينيه ماالله به عليم قال الله جل وعلا (فمحونا ءاية الليل وجعلنا ءاية النهار مبصره لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا) فالله بعد أن ذكر نعمة الإنسان وهدايته ذكر جل وعلا ءالاءه وفضله وماأعطاه للخلق حتى يستدلون بتلك الآيات على عظمة الرب جل وعلا

تأمل في نبات الأرض
وانظر إلى ءاثرماصنع المليك
عيونا من لجين شاخصات
على ورق هو الذهب السفيــك
على كثب الزبرجد شاهدات
بأن الله ليس له شريـــــــــــك

فكل مافي الخلق كل ماهو مخلوق يدل على عظمة الخالق جل جلاله يراه من يراه ويغيب عنه من يغيب عنه وليس يصح في الإفهام شيء إذا احتاج النهار إلى دليل.

(والنجم والشجر يسجدان) المبحث الأول اختلف العلماء في المقصود بالنجم في هذه الآية على قولين قول يقول: إن النجم قرين الشجر أن الشجر هو النبات الذي له ساق والنجم هو

النبات الذي لا ساق له فيصبح المعنى /أن النبات الذي له ساق والنبات الذي ليس له ساق كلاهما يسجدان لله هذا على القول أن النجم هو النبات الذي لاساق له في هذه الآيه .والحجة عند من قال بهذه الحجة القرينه وهو أن الله عطف النجم على الشجر والشجر بالاتفاق هو النبات الذي له ساق . وقال آخرون من العلماء إن النجم هنا هو النجم المعروف الذي في السماء وقالوا: وجه الإقتران مابين النجم والشجر أن المزارعين الذين يزرعون الشجر إنما يزرعون توقيتا على مطالع البروج والنجوم.فشيء يزرع في الخريف ،شيء يزرع في الشتاء،شيء يزرع في الصيف بحسب أحواله وهذا أمر يعرفه المزارعون بالإتفاق فقالوا /إن النجم هنا هو النجم الذي في السماء ولهم حجة في القرآن قالوا من حججنا في القرآن أن الله جل وعلا ذكر السجود فقرن مابين سجود النجم وسجود الشجر في قوله جل وعلا في سورة الحج (ألم ترأن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدوآب وكثيرمن الناس وكثير حق عليه العذاب) فقالوا: إن الله هنا أثبت في هذه الآيه سجود النجم الذي في السماء وسجود الشجر فقالوا هذه قرينه على أن المقصود بقول ربنا جل وعلا(والنجم والشجر يسجدان)أنه النجم الذي في السماء والله أعلم بالصواب .وقد سقنا كلا القولين الذي قالهما العلماء .الذي يهمنا بصورة أكبرأن الله جل وعلا فطر الخلق على السجود له والسجود للرب تبارك وتعالى من أعظم القربات ومن أن تلدك أمك إلى أن تحمل على النعش لن تكون في حال أنت فيها أقرب من الله هيئة من هيئتك وأنت ساجد قال عليه الصلاة والسلام: (أما السجود فأكثروا فيه من الدعاء فإنه أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد) وقال: (فأما السجود فأكثروا فيه الدعاء فقمن أن يستجاب لكم) أي جدير أن يستجاب لكم وهذا السجود من كرمته على الله أن الله حرم على النار أن تأكل من ابن آدم أعضاء السجود هذا طبعا إذا كان مؤمنا فإن الشفعاء يوم القيامه عندما يأتون ليخرجوا عصاة المؤمنين من النار يجدون أنهم أن النار أحرقت منهم كل شيء إلامواضع السجود وقد قال الله جل وعلا في الرعد(ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والأصال) وقال جل وعلا في النحل (أولم يروا إلى ماخلق الله من شيء يتفيؤظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون *ولله يسجد مافي السماوات ومافي الأرض من دآبة والملائكة وهم لايستكبرون) والمقصود من هذا /أن نبين مفهوم ءاية الرعد (ولله يسجد من في

السماوات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والأصال)أن حتى الكافر يسجد ونحن نرى أن الكافر لايسجد فتحمل الآيه على أن المعنى إن لم يكن يسجد بذاته فهو يسجد بظله فالله جل وعلا يقول العلماء/ يهب الظل إدراكا الله يهب الظل ظل العبد إدراكا يسجد من خلاله فإذا انتفى سجود الكافر ذاته فإن ظله يسجد لله تحقيقا للآيه قال الله تعالى (ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا)هذا سجود المؤمنين (وكرها)هذا سجود الكافرين (وظلالهم بالغدووالأصال) والمقصود من هذا عظيم فضيلة السجود .

ثم قال جل وعلا (والسماء رفعها ووضع الميزان*ألاتطغوافي الميزان*وأقيموا الوزن بالقسط ولاتخسرواالميزان*والأرض وضعها للأنام)هذه دعوة للعدل بين العباد والله جل وعلا حرم على نفسه الظلم وجعله بين عباده محرما ومن أعظم صفات المتقين العدل وقد قيل بالعدل قامت السماوات والأرض فلا يجوز للحاكم أن يظلم ويجور في رعيته ولايجوز للزوج أن لايعدل بين زوجاته ولايجوز للمعلم أن لايعدل بين طلابه ولايجوز للأب أن لايعدل بين أبنائه ومن صفات خوف الله ومراقبته والإطمئنان إلى الوقوف بين يديه أن يعدل الإنسان فيما ولاه الله تبارك وتعالى عليه.ولهذا قال الله نهى عن الطغيان ونهى عن الخسران قال جل وعلا(والسماء رفعها ووضع الميزان)أي نصب العدل (ألاتطغوا في الميزان)أي لا تزيد فيه إذا كان الكيل لك.ثم قال(ولاتخسروا الميزان)أي لاتنقص منه إذا كان الكيل عليك.لاتطغوا فيه إذا كان الكيل لكم ولاتنقصوا ولاتبخسوا الناس شيئا إذا كان الكيل عليكم وكما يزن الإنسان في بيعه وشرائه يعدل في بيعه وشرائه يجب عليه أن يعدل حتى في قوله فلا يقل مايعلم أنه جور وظلم إن كان من غيبه أو نميمة أو قدح في رجل أو ماأشبه ذلك .هذا كله من عدم إقامة العدل بين الناس وفي ذات الإنسان نفسه قال الله جل وعلا(فاعدلوا ولو كان ذا قربى)والمؤمن الحق الذي يرجوا ماعند الله يعدل في كل ماولاه الله تبارك وتعالى إياه.قال جل وعلا(والأرض وضعها للأنام*فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام)هذا كله ذكر لبعض نعم الله تبارك وتعالى على عباده وقد مر معنا كثير من هذا في سور ودروس سابقه.ثم قال جل وعلا(مرج البحرين يلتقيان*بينهما برزخ لايبغيان)المقصود الأنهار والبحار العذب والمالح لايطغى بعضهم على بعض أي لايختلطان فرق الله جل وعلا مابين مجرى البحار ومجرى الأنهار وهذا الذي ذكره الله في الرحمن بينه جل وعلا في سورة الفرقان قال تبارك وتعالى(وهو الذي مرج البحرين

هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا)أي مانعا وهذا كله من دلائل كمال قدرته ورحمته تبارك وتعالى لعباده ثم ذكر الله جل وعلا بعد ذلك القضية التي لا مفر منها وهي قضية الموت وأن هؤلاء الخلق أجمعين كلهم يموت (إنك ميت وإنهم ميتون)(كل نفس ذائقة الموت)والله جل وعلا أذل بالموت القياصره والملوك والأكاسره والأمراء والأغنياء والجبابره والفقراء ولايسلم فيما نعلم من الموت أحد قال الله جل وعلا(كل من عليها فان*ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) ولاريب أن وجه ربنا تبارك وتعالى كما قلنا مرارا أعظم الوجوه وأكرمها وقد نعت الله وجه هنا جل وعلا بأنه ذو جلال وذو إكرام أي هو جل وعلا أجل من أن يعصى وأكرم من أن يخالف ولايلجأ إلى ذلك إلا من غلبت عليه الضلاله وظهرت عليه الشقاوه وحاد عن صراط الله المستقيم قال صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه (ألظوا)أي إلزموا(ألظوا بياذا الجلال والإكرام)أي في دعائكم أكثروا من قول ياذا الجلال والإكرام ووجه الله تبارك وتعالى يثبته أهل السنه له على مايليق بجلاله وعظمته دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنه وهو مقصد المؤمنين ومبتغى عباد الله الصالحين.قال الله عن الأخيار من عباده (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا*إنما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولاشكورا) وقال الله جل وعلا يحث نبيه ويأدبه (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشي يريدون وجهه ولاتعد عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا) ورؤية وجه الله الأكرم متحققة برحمة الله وإذنه للمؤمنين في جنة عدن كما قلنا مرارا إن الدنيا لاتطيب إلابذكر الله ولاتطيب الآخره إلابعفوالله ولاتطيب الجنة إلا برؤية وجه الله وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم كما عند مسلم في الصحيح أنه قال عليه الصلاة والسلام (إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى منادي يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون: وماهو ألم يثقل موازيننا ألم يبيض وجوهنا ألم يدخلنا الجنه ويجرنا من النار فيكشف الحجاب فيرون وجه ربهم تبارك وتعالى فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم هو أعظم ولا أجل من رؤية وجه الله) قال الله جل وعلا(وجوه يومئذ ناضره) أي أحاطت بها النضره من كل مكان ثم ذكر سبب أنها نضره قال (وجوه يومئذ ناضره*إلى ربها ناظره)أن تنظربعينيها التي يعطيها الله التمكين آنذاك أن ترى وجه العلي الأعلى جل جلاله "اللهم إنا نسألك لذة النضر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضره ولافتنة مضله".ثم ذكر الرب جل وعلا بعد هذه القضيه بعد أن قال

(ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام*فبأي ءالاء ربكما تكذبان)
ذكر الله قضية هي حقيقة العبوديه قال: (يسئله من في السماوات والأرض كل يوم هو في شأن) فمن كمال ربوبيته وكمال ألوهيته وكمال أسمائه وصفاته أنه مامن عبد في السماء ومامن عبد في الأرض إلاوهو فقير إلى الله جل وعلا كل الفقر ويسأل الله جل وعلا حوائجه ومقتضيات أمره سواء كان سألها بلسانه مقاله أو سألها بلسان حاله فكل الناس فقراء إلى الله تبارك وتعالى ترى الشاب لايعرف المسجد ولايعرف الصلاة فإذا أراد أن يدخل قاعة الإمتحان يجد نفسه دون أن يشعر مضطرا دون أن يدري يرفع بصره إلى السماء ويرفع يديه يعلم بالفطره أن هناك رب يسأله من في السماوات والأرض كل يوم هو في شأن. ولذلك الدعاء من أعظم العباده قال عليه الصلاة والسلام (الدعاء هو العباده) فالإنسان الذي يكثر من دعاء الرب جل وعلا وحده ويلجأ إليه جل وعلا في كل أمر يصير إليه هذا من دلال كمال محبة الله ودلال معرفة الله جل وعلا. كان موسى عليه السلام يستحيي أن يسأل الله بعض حاجته فأوحى الرب جل وعلا إليه (ياموسى سلني ملح عجينتك ياموسى سلني شأص نعلك ياموسى سلني... وسلني... فإن الله جل وعلا يحب أن يسأل)الرب تبارك وتعالى يحب أن يسأل.

لاتسألنَّ بُنَي آدم حاجةً
واسألِ الذي كنوزُه لاتنفدُ
فاللهُ يَغضب إن تركت سؤَالهُ
وبُنَي آدم إن سألته يغضبُ

ولم أقل البيت بتمامه لكن المقصود أن المراد أن سؤال الرب جل وعلا من أعظم مامنه به عليك حتى جاء في الحديث أن الله يوحي لجبريل (ياجبريل أخر حاجت عبدي فإني أحب أن أسمع صوته) ومن ذلك السعيد الذي يحب الرب جل وعلا أن يسمع دعائه وخشوعه وتضرعه ومسكنته بين يدي ربه جل وعلا هذا من أعظم النعم وأجل العطايا ولكن بني آدم طبعوا على العجل طبعوا على حب الأشياء العاجله كما قال ربنا(خلق الإنسان من عجل) ثم قال الله جل وعلا (كل يوم هو في شأن) يغفر ذنبا،ويفرج كربا،يفك أسيرا،يغني فقيرا،يشفي مريضا،يطعم جائعا،إلى غير ذلك ممالايحصى ،يقيم دول ويذهب أخرى،يقيم ملكا،وينزع ملكا، يفعل تبارك وتعالى مايشاء .لكن هذا القول (كل يوم هو في شأن)الحسن أن تفهمه بالإيمان والقضاء والقدر.فإن الرب جل وعلا في أمور يبديها لافي أمور يبتدئها .جاء الوليد ابن عباده إلى أبيه عباده ابن الصامت رضي الله تعالىعنه

وأرضاه وعياده في مرض الموت فقال الإبن: يا أبتي أوصني واجتهد لي أي ابحث لي عن وصية عظيمه فقال يابني: إنك لن تبلغ العلم لن تذق طعم الإيمان ولن تعرف حقيقة العلم حتى تؤمن بالقدر خيره وشره قال ياأبتي: وكيف أدري خيره من شره قال يابني: أن تعلم أن ماأصابك لم يكن ليخطئك وماأخطأك لم يكن ليصيبك ثم قال يابني: إنني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول (إن الله أول ماخلق القلم ثم قال له اكتب فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامه) ثم قال له يابني: إنك إن مت على ذلك دخلت النار أي إن مت على غير الإيمان بالقدر خيره وشره والرضى بقضاء الله خيره وشره من أعظم مناقب الصالحين قال الله عنهم (فلنحيينه حياة طيبة) فالحياة الطيبه مدارها على الرضى بقضاء الله تبارك وتعالى وقدره ثم قال تبارك وتعالى (يمعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لاتنفذون إلابسلطان) هذه الآيه ربما توسع العلماء فيها كثيراًوالصواب إن شاء الله في تفسيرها أن يقال/ إن هذه الآيه تتكلم عن أهوال يوم الآخره وحتى تفقه معناها اعلم أن الناس يحشرون من القبور فيخرجون من القبور كما بينا (في سورة القمر) فإذا حشروا على الأرض البيضاء النقيه تشققت السموات قال الله جل وعلا(ويوم تشقق الساء بالغمام ونزل الملا ئكة تنزيلا) فإذا رأى الكفار تشقق السماء وتنزل الملائكة أحاط بهم الخوف فإذا أحاط بهم الخوف فروا فإذا فروا ورأوا الملائكة على الجانبين رجعوا على ماهم عليه فالله يقول هنا"يا معشر الجن والإنس إن استطعتو أن تنفذوا"أي تخترقوا(من أقطار السموات والأرض فانفذوا) الأمر متروك لكم إن كان لديكم قدرة ثم قال جل وعلا:"لاتنفذون إلا بسلطان" أي بقوة وقدره تغلبون بها قهرنا وقدرتنا ومعلوم أن هذا من تعليق الأمر بالمحال لأنه لا أحد له قدره على الله.ودليل هذا التفسير من قول الله جل وعلا جاء على لسان العبد الصالح مؤمن آل فرعون (ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد* يوم تولون مدبرين) متى تولون مدبرين ؟ في يوم التناد (مالكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد) هذا من شواهد تفسير الآية كما قلناه فهذا من تعليق الامر بالمحال. ثم قال الرب جل وعلا وأنا أختار من السورة قال جل وعلا"فيؤمئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جآن"يرد الإشكال هنا لطالب العلم ولمن يقرأ القرآن أن الله قال في هذه السورة"فيومئذ لايسئل عن ذنبه إنس ولا جآن"وقال تبارك وتعالى في سورة القصص :"ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون" فنفى تبارك وتعالى هنا السؤال

وأثبت الله السؤال في مواطن أُخر قال الله جل وعلا "فلنسئلن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين"وقال جل وعلا"وقفوهم إنهم مسؤولون" وهذا وارد كثير في القرآن قال الله "وإذا المؤودة سئلت" والجواب عن هذا علمياً أن يقال:
قال بعض العلماء إن القيامة مواطن يسأل فيها ومواطن لايسأل وهذا وإن قال به بعض العلماء الأجلاء إلا إنه في ظننا بعيد والصواب إن شاء الله أن يقال إن السؤال قسمان :ـ
ـ قسم أثبته الله.
ـوقسم نفاه الله.
فالقسم الذي أثبته الله هو سؤال التقريع والتوبيخ.أي يسأل الناس، لمافعلت هذا...أما السؤال المنفي " فيومئذ لايسئل عن ذنبه إنس ولا جآن"فهو سؤال الإستعلام والإستفهام أي لا يسأل الناس هل فعلتم أو لم تفعلوا لأن الله أعلم بما فعل الناس من أنفسهم. قال الله عز وجل:"أحصاه الله ونسوه"إذا تحرر من هذا أن هناك سؤال منفي وسؤال مثبت قد يأتي على هذا الأشكال إشكال آخر، أن يقال إذا كان السؤال المثبت هو سؤال التقريع والتوبيخ فكيف يسأل المرسلون وكيف تسأل المؤودة ؟
فالجواب عن هذا أن يقال إن سؤال المؤوده تقريع وتوبيخ لقاتلها وسؤال الرسل تقريع وتوبيخ لأممهم الذين كذبوا بهم.وبهذا يجتمع ما جاء في القرآن من نفي السؤال وماجاء في القرآن من إثبات السؤال.ثم قال الله جل وعلا بعد ذلك عن الجرمين"يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام"يعرفون من علامات معرفة المجرمين :ـ زرقة العيون قال الله جل وعلا"ونحشر المجرمين يومئذ زرقا"وهذا عند البلاغيين:إيجاز حذف ومعنى الآية ونحشر المجرمين يومئذ أعينهم زرقا(هذا إيجاز الحذف)كما قال الله جل وعلا"وءاتينا ثمود الناقة مبصرة"ليس المقصود أن الناقة ترى ،تبصر لكن المقصود :إيجاز الحذف والمعنى:"وءاتينا ثمود الناقة ءاية مبصرة"أي آية واضحة.هذا بعض مايعرف به المجرمون أما المؤمنون بماذا يعرفون؟ بالغر أثر الوضوء الغر والتحجيل الناجم عن أثر الوضوء وأنا أقول بعض مايعرف به الكفار وبعض ما يعرف به المؤمنين لأن الآيات لم تأت على سبيل الحصر(يعرف المجرمون بسيماهم)أي بعلاماتهم(فيؤخذ بالنواصي والأقدام)ثم قال جل وعلا(ولمن خاف مقام ربه جنتان*فبأى ءالاءربكما تكذبان) وهذه مر معنا بعض تفسيرها لكن نفسر إجمالا ذكر الله هنا أربع جنان وجعلهما قسمين، قال في الأولى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) ثم قال بعدها(ومن دونهما جنتان) وهنا من دونهما يعني أقل

منهما وليس في الجنة أقل يقال أقل منهما تأدبا تقول وليس في الجنة أقل أوليس في الجنة قليل.هاتان الجنتان أنت بنظرك في القرآن ماهو ظاهر يعقد النظرة قال عن الأولى(ذواتا أفنان) وقال في الثانيه (مدهامتان)مدهامتان أي أنهما خضروان تميلان إلى السواد أما ذواتا أفنان متنوعة الأفانين فأيهما أفضل؟ المتنوعه ثم قال جل وعلا في الأولى (فيهما عينان تجريان) وقال في الثانيه(فيهماعينان نضاختان)والجري جري الماء أعظم من كونه ينضخ ويفور شيئا يسيرا قال في الأولى (فيهما من كل فاكهة زوجان) وقال في الثانيه جل وعلا(فيهما فاكهة ونخل ورمان) في الأولى أطلق وفي الثانيه قيد وقال جل وعلا في الثانيه (فيهن خيرات حسان)وقال في الأولى (متكئين على فرش بطائنها من إستبرق وجنى الجنتين دان)الجنى ماهو؟ الثمار جنى الجنتين المذكورتين وهذه تسمى ألف لام العهد (دان) بمعنى قريب بحيث أن الإنسان لايتكلف أيا كلفه حتى يصل إليها بل ورد أنه إذا قطفها جاءت أختها بدلا منها فلا يدري أهو قطفها أولا قال الله جل وعلا (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون) ثم ذكر الله بعض مامن به على أهل الجنه فقال (فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولاجان) قاصرات الطرف:ـ أفضل خصلة في المرأة أن يكون طرفها مقصورا على زوجها ولا تتشوف إلى غيره من الرجال، هذه أعظم خصلة في النساء وهذه لأنها أعظم خصلة في النساء يحبها الأزواج جميعا جعلها الله جل وعلا أول نعت للحور العين فقال(فيهن قاصرات الطرف)أي تقصر طرفها وعينها ورؤيتها وتشوفها على زوجها فقط ولا تتعداه إلى غيره (فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولاجان)وفي الآيه إشارة واضحه على أن مؤمن الجن يدخلون الجنه. على هذا ماوقع فيه النساء بعض النساء اليوم عياذا بالله من كثرة النظر الناجم عن كثرة الخروج إما نظر إلى الشاشات إذا كن في البيوت أو نظر إلى الرجال إذا كن في الأسواق أو في دور الملاهي أوماشابه ذلك... هذا إثم ومعصيه وفي نفس الوقت منقصة في المرأه في حيائها ومنقصة في دينها ومنقصة في تشوف الرجال إليها فإن الرجل الحر الأبي عادة لايمكن أن يتعلق قلبه بإمرأة فيها هذا الوصف ولو وافقها في زمن غفلته فإنه لايمكن أن يقبلها في زمن أوبته ويقظته وإدراكه وهذا ظاهر لكل من يعقل العلاقه بين الرجال والنساء.ثم قال جل وعلا في الأولي(هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) وهذا من قواعد القرآن وقد أفرد لها العلامه ابن سعدي قاعدة خاصه

في كتابه" القواعد الحسان في فهم القرآن" أو كلمة نحوها...
وهوأن القرآن قد دل على أن الجزاء من جنس العمل فسر
الإحسان هنا بأنه لاإله إلا الله وفسر بأنه كل عمل صالح والأفضل
أن يفسر بأن المقصود به الإيمان والعمل الصالح جزاءه الإحسان
من الله وأعظم إحسان من الله الجنه وأعظم مافي الجنه رؤية
وجه رب العالمين تبارك وتعالى، ثم ختم الله جل وعلا هذه
السورة الكريمة بقوله (تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام)وقد
مر معنا في دروس سابقة أن (تبارك)فعل جامد لايتصرف لايأتي
منه مضارع ولا يأتي منه أمر وأعظم مافيه أنه لايقال لأحد غير
الله تبارك كائنا من كان هذا من الأفعال الخاصه بالتعامل والنعت
للرب العظيم جل جلاله (تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام)
بدأها الله بإسم عظيم هو" الرحمن" وختمها بوصف عظيم
(تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام).هذا ماتيسر إيراده وتهيأ
إعداده سائلين الله جل وعلا أن يرزقنا وإياكم العمل بما نقول.